

ما هي أول سورة نزلت من القرآن الكريم

<?xml encoding="UTF-8?">

اختلف الباحثون في شؤون القرآن، في أنّ أيّ آياته أو سوره نزلت قبل؟ والأقوال في ذلك ثلاثة:



١- سورة العلق:

لأنّ نبوّته (ص) بدأت بنزول ثلاث أو خمس آيات من أول سورة العلق. وذلك حينما فاجأه الحقّ وهو في غار حراء، فقال له الملك: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ، فغطّاه غطاً ثم قال له: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(١).

وفي تفسير الإمام: هبط إليه جبرائيل وأخذ بضبعه وهزّه، فقال: يا محمد(ص) اقرأ: قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(٢).

وروي عن الإمام الصادق (ع): (أول ما نزل على رسول الله (ص) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ. وآخر ما نزل عليه إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ)(٣).

٢- سورة المدثر:

لما روي عن ابن سلمة، قال سألت جابر بن عبد الله الانصاري أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قلت أو اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ؟ قال: احذّثكم ما حدّثنا به رسول الله (ص): إنّني جاورت بحراء، فلمّا قضيت جوارني نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي - ولعلّه سمع هاتفا- ثم نظرت الى السماء فإذا هو - يعني جبرائيل- فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني، فأنزل الله (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ)(٤).

هذا.. ولعلّ جابراً اجتهد من نفسه أنّها أوّل سورة نزلت، إذ ليس في كلام رسول الله (ص) دلالة على ذلك، والأرجح أنّ ما ذكره جابر، كان بعد فترة انقطاع الوحي، فظنّه جابر بدء الوحي(٥). وإليك حديث فترة انقطاع الوحي برواية جابر أيضاً:

قال: سمعت رسول الله (ص) يحدّث عن فترة الوحي، قال: فبينما أنا أمشي إذ سمعت هاتفاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فجلست منه فرقاً – أي فرغت – فرجعت، فقلت: زملوني زملوني فدثروني، فأنزل الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) – وهي الاوثان – قال (ص): ثم تتابع الوحي. وفي لفظ البخاري: فحمى الوحي وتتابع(٦).
٣- سورة الفاتحة:

قال الزمخشري: أكثر المفسرين على أنّ الفاتحة أوّل ما نزل(٧). وروى العلامة الطبرسي عن الأسناد أحمد الزاهد في كتابه (الإيضاح) بإسناده عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب(ع) أنّه قال: (سالت النبيّ (ص) عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فأوّل ما نزل عليه بمكّة: فاتحة الكتاب، ثم اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ...)(٨).

وروى الواحدي في أسباب النزول بسنده عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، قال: كان رسول الله (ص) إذا خلى وحده سمع نداء فيفزع له، وللمرّة الأخيرة ناداه الملك: يا محمد! قال: لبيك، قال قل: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حتى بلغ: وَلَا الضَّالِّينَ)(٩).

قلت: لاشكّ أنّ النبيّ (ص) كان يصلي منذ بعثته، وكان يصليّ معه علي وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة(١٠) ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب(١١) فقد ورد في الأثر: أوّل ما بدأ به جبرائيل: أن علّمه الوضوء والصلاة(١٢) فلا بدّ أنّ سورة الفاتحة كانت مقرونة بالبعثة. قال جلال الدين السيوطي: لم يحفظ أنّه كان في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب(١٣).

وبعد.. فلا ترى تنافياً جوهرياً بين الأقوال الثلاثة، نظراً لأنّ الآيات الثلاث أو الخمس من أوّل سورة العلق إنّما نزلت تبشيراً بنبوّته (ص) وهذا إجماع أهل الملّة، ثم بعد فترة جاءته آيات – أيضاً – من أوّل سورة المدثر، كما جاء في حديث جابر ثانياً. أما سورة الفاتحة فهي أوّل سورة نزلت بصورة كاملة، وبسمة كونها سورة من القرآن كتاباً سماوياً للمسلمين، فهي أوّل قرآن نزل عليه (ص) بهذا العنوان الخاصّ، وأمّا آيات غيرها سبقتها نزولاً، فهي إنّما نزلت لغايات أخرى، وإن سجّلت بعدئذ قرآناً ضمن آياته وسوره.

ومن هنا صحّ التعبير عن سورة الحمد بسورة الفاتحة أي أوّل سورة كاملة نزلت بهذه السمة الخاصّة. وهذا الاهتمام البالغ بشأنها في بدء الرسالة، واختصاص فرضها في الصلوات جميعاً، جعلها – في الفضيلة – عدلاً للقرآن العظيم: (آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)(١٤). فقد امتنّ الله على رسوله بهذا النزول الخاصّ تجاه سائر القرآن.

نعم لو اعتبرنا السور باعتبار مفتحتها فسورة الحمد تقع الخامسة، كما جاء في رواية جابر بن زيد(١٥) الآتية.

(١) صحيح البخاري: ج ١ ص ٣/

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ٩٧/

(٣) تفسير الامام: ص ١٥٧/ وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٠٦/ ح ٣٦/ وتفسير البرهان: ج ٢ ص ٤٧٨/

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٨-٦٢٩/ ح ٦/ وعيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٦/ ح ١٢/ وبحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٣٩/ ح ١/ وتفسير

البرهان: ج ١ ص ٢٩/

(٥) صحيح مسلم: ج ١ ص ٩٩/

(٦) راجع البرهان: ج ١ ص ٢٠٦/

(٧) صحيح مسلم: ج ١ ص ٩٨/ وصحيح البخاري: ج ١ ص ٤/

(٨) الكشف: ج ٤ ص ٧٧٥/ وناقشه ابن حجر مناقشة سطحية لا مجال لها بعد توضيحنا الآتي في وجه الجمع بين

الأقوال الثلاثة. وراجع فتح الباري: ج ٨ ص ٥٤٨/

(٩) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٠٥/

(١٠) أسباب النزول: ص ١١/

(١١) تفسير علي بن ابراهيم القمي: ص ٣٥٣/

(١٢) مستدرک الحاكم: ج ١ ص ٢٣٨-٣٩/ وصحيح مسلم: ج ٢ ص ٩/

(١٣) سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦١/ وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٨٤/ ح ١٤/ و١٩٤، ح ٣٠/ (١٠٧) الاتقان ج ١ ص ١٢/

(١٤) الحجر: ٨٧/

(١٥) الإتقان: ج ١ ص ٢٥/